

## مفهوم السيرة

### الذاتية الشطارية

لقد كتبت الجزء الأول من سيرتي الذاتية في زمن مبكر لبعض الاسباب:

- لم أكتبها بالمفهوم التقليدي المتسلسل تاريخياً Chronologiquement الذي غالباً ما تكون له علاقة بالنتاج الادبي الذاتي والموضوعي.

- أعتبرها سيرة ذاتية - روائية.

- حافزي الى كتابتها بهذا الشكل هو أنني حاولت، ضمن تجربتي حتى سن العشرين، أن اسجل مرحلة زمنية عن جيل الصعاليك في عهد الاحتلالين الاسباني والفرنسي والدول التي كانت لها هيمنة لا تقل عن الاحتلالين المباشرين، خاصة في مدينة طنجة الدولية.

- انهما سيرة ذاتية - روائية - شطارية. Novela-Autobiografica-Picaresea.

ان الحياة التي عشتها، حتى تلك السن في عشيرة البؤساء والشاطار، عن لاقصدية شخصية، كنت أستمدها، عن قهر، من كل ما هو لا أخلاقي. وما زال هذا النموذج المهجين من الطفولة المغربية يفرزه مجتمعنا المغربي حتى اليوم.

ان الطفل المغربي، من هذه الطبقة المهمشة، يصبح رجلاً، في سلوكه وملاحظه، في السادسة أو السابعة من عمره.

لقد حاكمت نفسي وأسرقي والمجتمع، في هذه السن، بقانون الشيطان الذي أوعاني باكراً معنى الاستغلال والقمع اللذين أيقظا في التمرد والحرية. لقد قال ألبير كامو: «لم اتعلم الحرية من كارل ماركس، ولكنني تعلمتها من البؤس».

تثار أيضاً قضية الصدق والكذب حول كتاب سيرهم الذاتية، وهم قلة في العالم العربي، والذين كتبوها اما بصناعة أدبية متحلقة وبكثير من الحشمة والتستر او استوحوا فلسفة

الحياة وحكمتها من حكايات جداتهم وعماتهم وداداتهم<sup>(١)</sup>. صعب علينا أن نخون التاريخ الحقيقي للأحداث الواقعية، لأنه ليس: «التاريخ كابوساً أحاول أن أستيقظ منه» كما يقول جويس على لسان بطله ديدالوس. سهل أن نكذب عندما نكتب عن ذواتنا الحميمة وذوات الاخرين المغمورين.

أنا أعتقد ان كل ما يفكر فيه الانسان، بشرط أن يوحى بالصدق، فهو معيش، لأننا لا نملك بعد أواقع الموازي لافكارنا وتصوراتنا.

الانسان فكرة صادقة عن نفسه قبل أن يكون شيئاً في تصور الغير:

طرفة بن العبد، امرؤ القيس، المتنبي، المعري، بشار، الحلاج، دوستوفسكي، لوتر يامون، ولت وبتان وامثالهم لعنهم زمانهم لان أفكارهم كانت اكبر من ان يستوعبها واقع مجتمعاتهم، ولكن هذا لا يعني ان الانسان لا يؤثر في عصره. ان أسماء شهداء الكلمة، قديماً وحديثاً، يفوق عدد جلاذيتهم، كما أننا اذا بحثنا في السجلات الذهبية للسادة سنجد أن عدد الخدم يفوق أيضاً عدد الضيوف.

ان الكتابة الملائكية، عن الانسان، قد تسلي ولكنها لا تخدم ولا تغير. اننا لا نملك الحرية والخيار في الكتابة التطويرية لان بعض الانظمة العربية الرجعية مسكونة بمرض ازدواجية التفكير. لقد قال عبد الكبير الخطيبي في كتابه: «رواية المغرب العربي»: «نحن نسمح للدعارة ان تكون في الشارع ولا نسمح لشخصية روائية أن تعهر».

ان ما تريده منا هذه الانظمة هو أن نكتب لها الانشاءات الديماغوجية لأنها ضد الوعي التقدمي الذي يهدد بقاءها. وفي احسن الاحوال تسمح لنا أن نلمح ولا نصرح. لهذا السبب تمتلئ الاسواق الادبية بكثير من الكتابات المليئة بالرموز والالغاز والشعوذة باسم الابداع.

هذه الافرازات هي التي تخدم ايدولوجية السادة العوائل (الفمبيريين) الذين يمتصون دماء السويدين.

ان الادب الشطاري ضد هذه الشجيرة المضللة، خاصة السيرة الذاتية الشطارية التي هي وليدة طبقة شبه منفصلة الجذور عن أسرتها واقاربها مما يجعلها أقدر من السيرة الذاتية التقليدية على كشف المبادل، اذا اتاحت لكتابتها الامكانيات الضرورية.

لقد كتبتها بضمير المتكلم وليس بضمير الغائب كما يفعل بعض الادباء. ان لعبة الضمائر هذه هي أيضاً نوع من المراوغة والاستغناء والتواضع الذي قد يحمل معنى الكبرياء، لأن «الانا» ليس دائماً تأكيداً للذات واكثرها بها كما ان الغائب المستعار ينبغي الا يغرينا بالنية الطيبة عن تجرد الذاتية من الترجسية. ان ما كتبه في هذه السيرة اعتبره وثيقة اجتماعية، وليس أدباً، عن مرحلة معينة آثارها السيئة ما زالت تنخر مجتمعنا.

(١) هي الخادم التي ازلت في خدمة أسرة. وهي ثنابة الجدة بالنسبة للاولاد.